

الرد بحرب شاملة

التطورات المقابلة التي بدأت بخطاب السيد حسن نصر الله، ثم قمة دمشق مع الرئيسين بشار الأسد وأحمدي نجاد، فكلام قادة إيران أمام المقاومة الفلسطينية، حملت الرسالة الأوضح: أن الرد على إسرائيل سيكون حرباً شاملة...

ابراهيم الامين

إيران مكان مصر: راح زمن الاستفراء

ليس فتية 14 آذار فقط من تحدثوا عن وجهة سوريا نحو الابتعاد عن إيران وقوى المقاومة. في مصر والسعودية والأردن وفي بعض عواصم أوروبا كما في الخارجية الأميركية، من اعتقد أن الأمر يتجه صوب هذا الخيار. وقاعدة التحليل لدى هؤلاء تقوم على أن سوريا ليست قادرة على مواجهة التهديد بالحرب عليها، وأن النظام فيها متى خسر بين رأسه وموقفه السياسي، تراجع سريعاً وأوجد لنفسه الأعداء. بعدها تواتت التحذيرات: الأوروبيون ينقلون رسائل تهديد مباشرة من إسرائيل والولايات المتحدة بأن سوريا ستكون الهدف المباشر إذا تواصل تدفق السلاح إلى المقاومة في لبنان وعزّة. وأن استمرار التحالف مع إيران يعني استمرار عزلة سوريا والضغوط عليها. وحاول هؤلاء الاستفادة من مناخ التهويل الإسرائيلي المتراكم منذ أكثر من عام، بأن بنية لبنان التحتية ستكون هدف أي حرب إسرائيلية مقبلة. وساد اعتقاد قوي لدى أوساط نافذة في تل أبيب كما في واشنطن وعواصم أخرى، بأن هذه الرسائل كافية لردع جميع من في المحور المقابل.

وأن الرسائل الأمنية يجب أن تكون كابحاً، من اغتيال القائد العسكري في حزب الله الشهيد عماد مغنية، إلى اغتيال المستشار العسكري للرئيس السوري العميد محمد سليمان، إلى اغتيال القيادي في حماس محمد المحجوب، والثلاثة كانوا هدفاً لكونهم ضمن خلية عمل مكلفة تعزيز القدرات العسكرية والقتالية بوجه إسرائيل.

تأخر المحور المقاوم في الرد. لم يكن التأخر مرتبطاً بالنقاش في كيفية التعامل، بقدر ما كان يتصل بتوفير مستوى من الجهوية يتناسب والموقف المتفق عليه في رفض التهديدات الإسرائيلية. وخلال فترة زمنية معينة، اكتمل الحد المطلوب من الجهوية، وخرج الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله ليجهز على «عقيدة الضاحية والبنى التحتية» وليدفع إسرائيل إلى البحث من أول وجديد عن استراتيجية جديدة.

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، باعتبار أن إسرائيل فكرت في طريق فرعية لمواجهة الأمر، وعبرت بأشكال مختلفة، بينها الميداني، عن استعدادها للذهاب نحو توجيه ضربة عسكرية قاسية إلى سوريا. وسعت إسرائيل إلى أن تكون هذه الضربة محصورة الترددات، فلا تقود إلى حرب مع سوريا ولا تتيح لحزب الله التدخل للرد والاتجاه صوب حرب شاملة. وترافق ذلك، مع تعزيز الكلام التهديدي لإيران بشن حرب خاطفة عليها أو محاصرتها بعقوبات مشددة وخلافه، الأمر الذي بدا محاولة جديدة لإرباك محور المقاومة.

وهذه المرة لم يكن الأمر يتطلب وقتاً طويلاً لانتظار اكتمال جهوية معينة. تولى وزير الخارجية السورية وليد المعلم إيصال «رسالة ناعمة» بأن أي اعتداء قد يقود إلى حرب ستخاض في المدن الإسرائيلية. لكن الموقف كان تمهيداً لحلقة أخرى، من شأنها توفير الردع المطلوب لمنع استفراء سوريا، ولحمايتها من التهديدات. وكان لا بد من خطوة من العيار الثقيل، وهي الخطوة التي بادرت إليها إيران، من خلال زيارة الرئيس أحمدي نجاد إلى دمشق، التي هدفت إلى إيصال رسالة إلى الولايات المتحدة والغرب عموماً، وإلى إسرائيل على وجه الخصوص بأن إيران حاضرة من جانبها لتوفير كل ما تحتاج إليه سوريا من دعم في مواجهة أي حرب عليها. وجاءت التهمة بمشاركة الأمين العام لحزب الله في القمة السورية - الإيرانية، وانعقاد مؤتمر دعم المقاومة الفلسطينية في إيران، لخلق معادلة جديدة بوجه إسرائيل، مفادها، أنه من جانب قوى المقاومة، لم يعد هناك إمكان لقبول أي حرب وفق التصورات الإسرائيلية، لا لتأحية تحديد المكان، ولا الأهداف، ولا الطريقة التي تدار بها، ولا شكل إدارتها. وأن الرد على محاولات إسرائيل استفراء قوى المقاومة، سيكون بحرية شاملة، لا تحتاج إلى تبريرات موضعية كما يعتقد الإسرائيليون.

الجديد النوعي في الأمر، أن الاعتقاد القوي الذي ساد عن عجز العرب عن إنتاج معادلة جديدة للصراع مع إسرائيل في غياب مصر لم يعد له مكان على مستوى الحقائق. لقد تولت إيران تعويض الغياب المصري، سياسياً، وعسكرياً وعلى مستوى الإرادة والموقف. وبالتالي، فإن مستقبل الصراع العربي - الإسرائيلي، لم يعد رهن نتائج أول الانحرافات العربية الخطيرة يوم فضيحة كذب ديفيد. بل رهن شيء سيكون محل اختبار في أي وقت، والأهم فيه، أن القدرات لا تنحصر فقط بالعتاد والعديد، بل بالية الاستخدام التي قد تجعل إسرائيل أمام واقع جديد.

تخدم مصالح الشعب اللبناني، بل مصالح اللاعبيين الآخرين». وإذ أشار إلى امتلاك الحزب «45000 صاروخ تغطي كل إسرائيل» و«منظومة أسلحة لا يملكها الكثير من الملوك»، قال باراك «لا يمكننا قبول هذا الأمر. لا يمكننا قبول هذا التمييز بين إرهابيي حزب الله ودولة لبنان ورابعيه. ونكرز القول إننا لا نريد أي نزاع هناك، ولن ندفع إلى الوقوع في نزاع. لكن إن حدث أي هجوم، فلن نهرع أو نطارد كل فرد من إرهابيي حزب الله - وهم في الواقع يبنون ويحفرن ضمن المراكز السكنية داخل المدن وبين السكان المدنيين، وهذه الأسلحة التي يملكونها بطريقة رئيسية لا يمكن استخدامها ضد أي هدف عسكري، فهي ليست دقيقة كفاية - بل إن الاستخدام المعقول الوحيد لمعظم هذه الأسلحة هو ضد السكان المدنيين في المراكز الكثيفة بالسكان، وهذا ما فعلوه في الماضي. لذا فإننا نوضح: لا نريد هذا النزاع، لكن إذا فرض علينا، فإننا لن نطارد كل إرهابي، بل سنجعل الحكومة اللبنانية والمصادر الأخرى الراعية، لكن على نحو رئيسي الحكومة اللبنانية والبنية التحتية اللبنانية، جزءاً من المعادلة التي نواجهها».

وكانت وسائل الإعلام الإسرائيلية قد توقفت عند «قمة الشر» في دمشق كما وصفتها صحيفة «يديعوت أحرونوت» أمس. ورات الصحيفة أن مضامين المحادثات التي حصلت في هذه القمة تبدو أمراً هامشياً قياساً إلى الصورة التي أريد لها أن تظهر للعالم من خلالها، وهي أن سوريا وحزب الله وإيران «موحدون». وأشارت الصحيفة إلى أن القمة انعكست خيبة أمل داخل الإدارة الأميركية «من سلوك الرئيس السوري» وذلك وفقاً للمحادثات التي أجراها إيهود باراك في واشنطن.

(الأخبار)



متكى ومشعل في طهران أمس (فاهيد سليمي - أ ب)

من حل هذه المشكلة، سُمح له، ببساطة، بأن يكون أكثر تعقيداً. فهناك شيء شاذٌ وغريب هناك. فلبنان دولة عضو في الأمم المتحدة، ومن ناحية أخرى لديه ميليشيا. هذه الميليشيا لديها ممثلون في المجلس النيابي، وحتى وزراء في المجلس الوزاري، بل لديهم حق نقض قرار الحكومة اللبنانية». وتابع «الآن، يُدعم حزب الله ويُجهز تقنياً وبوسائل قتالية من جانب دولتين عضوين في الأمم المتحدة، هما سوريا وإيران. وهناك الكثير من الموظفين المدنيين في الرّي الرسمي وبدونه، من كلا البلدين العضوين في الأمم المتحدة، يخدمون في لبنان ضمن سلسلة قيادة حزب الله، ويصدرون الأوامر التي لا

الإعلام الإسرائيلية قوله في هذا الصدد «نحن لا نخطط جدول زيارات الضيوف الأجانب إلى سوريا. ولا ينبغي توقع أننا عندما نتحدث عن فتح مسار التفاوض مع سوريا أن يبدد ذلك على الفور الوجود الإيراني في الحياة السورية».

وفي محاضرة ألقاها أمام معهد واشنطن، خصص باراك جزءاً مهماً من كلامه للوضع على الجبهة الشمالية، مشدداً على عدم وجود مصلحة لإسرائيل في التدهور. وقال «نتابع بعناية ما يحدث في لبنان، واعتقد أن الوقت قد حان للتعامل معه بطريقة أكثر استقامة وحقيقية». وأضاف «إن جوهر القرار 1701 كان وضع حد لوجود حزب الله في لبنان. وبدلاً

خامنئي: دعمنا للمقاومة الفلسطينية قضية عقائدية

وأضاف لاريجاني، في تصريح للصحافيين بعد إلقائه كلمة في ملتقى طهران عن فلسطين، «لدينا استراتيجية موحدة لمواجهة الكيان الصهيوني، ويخطئ كل من يتصور أن بإمكانه إيجاد شرح في هذه الاستراتيجية».

وفي السياق، أكد رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، خالد مشعل، أن «أهمية هذه اللقاءات تكمن في أنها تأتي للتشاور والتعاون والبحث في ظل قرع إسرائيل لطبول الحرب على أكثر من جبهة». وأضاف إنه «في ظل الاحتلال والعدوان الإسرائيليّين اللذين يتسعمان، وفي ظل انسداد التسوية وما تتصرف به إسرائيل على الأرض، والضعف الأميركي والدولي أمامها، فإنه يجب أن نتمسك بالمقاومة والدعم العربي والإسلامي لها». وأكد أن المعادلة الطبيعية هي المقاومة في وجه الاحتلال.

بدوره، جدد الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، رمضان عبد الله شلح، تأكيداً أن المقاومة حق للشعب الفلسطيني. وأشار إلى أن «قادة فصائل

المقاومة مصمّمون على مواصلة درب أسلافهم من القادة الشهداء». وشدد شلح على أن «الحل الوحيد للقضية الفلسطينية يكمن في المقاومة والصمود، إذ إن التجارب السابقة أثبتت أن السبل السياسية لن تؤدي إلى نتيجة سوى طمس حقوق الشعب الفلسطيني».

من جهته، أشار الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة، أحمد جبريل، إلى الانتصارات الكبرى التي حققتها المقاومة في لبنان وعزّة، مؤكداً أن الظروف التي تمر بها المنطقة حالياً تختلف عما كانت عليه سابقاً، حيث إن العدو الصهيوني الذي لم يكن يفكر في الفشل يوماً، ذاق اليوم مرارة عدة هزائم نكراء. وقال إن «جبهة

المقاومة أسست شرق أوسط جديداً يبدأ انطلاقاً من طهران وينتهي إلى جميع أرجاء المنطقة».

وفي السياق نفسه، أشار مسؤول الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في الخارج، ماهر الطاهر، إلى دور إيران وموقعها الممتاز في المنطقة، مشيداً بتأثير انتصار الثورة الإسلامية في تكوين جبهات المقاومة وقواها. وقال الطاهر «إن أحمد سعادت، الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، المعتقل حالياً في سجون الاحتلال الصهيوني، بعث رسالة شكر إلى الرئيس أحمدي نجاد، لقاء مواقفه الشجاعة».

إلى ذلك، أبلغ الممثل الخاص للرئيس السوري بشار الأسد لدى مؤتمر طهران، هيثم سطاوي، تحيات الأسد إلى المرشد الأعلى للثورة الإسلامية، مؤكداً أن «سوريا بمشاركة الأمين العام لحزب الله في المؤتمر إلى جانب الفصائل الفلسطينية، تعلن أن جبهة المقاومة تقف بوجه العدو الصهيوني وحماته في صف واحد».

(مهر، إرنا، أ ف ب، الأخبار)